حابس : « والله إن هذا الرّجل لَمُؤَتّى له (أي مُيَسّر له) ! والله لشاعرُه أشعر من شاعرنا ولخطيبُه أخطبُ من خطيبنا ، ولأصْوَاتُهُمْ أرفعُ من أصواتنا !» فهذ الاعتراف لا يصدر إلا عن طبيعة سليمة منصِفة بعيدة عن التعصُّب الأعمى ولهذا فقد انتهى المجلس بإسلام أفراد هذا الوفد جميعهم ورغبتهم في تعلُّم القرآن والتفقُّه في الدّين .[١]

ولعلّ هذه القصيدة من أكثر شِعر حسّان تشبُّعًا بالقيم الإسلاميّة الجديدة : وإن لم تخلُ أيضًا من تمدُّح بالقوّة على ما يقتضيه مخاطبةُ هؤلاء الأعراب بالمنطق الذي يفهمونه وينقادون له ، ولهذا فإننا نرى فيها توازنًا بين التّقاليد الجاهليّة الموروثة والثّقافة الجديدة التي هذّب بها الإسلامُ ذلك المجتمع الوليد .

وتبدو هذه الرُّوح الإسلاميّة جَلِيّةً حينما نقارن بين فخره الجاهليّ وفخره الإسلاميّ : أمّا في الجاهليّة فقد كان يتمدّح بما جرى الشُّعراء الجاهليّون على التّبجُّح به من مفاخرَ في مثل قوله :

متى ما تَزِنّا من مَعَدٍّ بعُصْبَةٍ ... وغسّانَ نَمْنَعْ حَوْضَنَا أن يُهَدَّما
بكُلّ فَتًى عاري الأشاجع لاحَهُ ... قِراعُ الكُماةِ يَرْشَحُ المِسْكَ وَالدّما
وَلَدْنَا بَني العَنْقاءِ وابْنَيْ مُحَرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خَالاً وأكْرِمْ بنا ابْنَما
نُسَوِّدُ ذا المالِ القليل إذا بَدَتْ ... مُرُوءَتُهُ فينا وإنْ كانَ مُصْرِما
لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسْيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمَا [٢]

---

(١) خبر هذه المُفاخرة في سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ – ٥٦٧ ، والأغاني ، ج ٤ ، ص ١٤٦–١٥١ ، وديوان حسان ، ص ٢٣٣–٢٤٠ .

(٢) ديوان حسان ، ص ١٣٠–١٣١ ؛ والأشاجع : عروق في ظاهر الكف ، وهو يعني به الضُّمور ؛ ولاحه: غيّر لونه ؛ والكُماة : جمع كَامٍ ، وهو البطل الشجاع ؛ وبنو العنقاء : هم بنو ثَعْلَبَة بن عمرو مزيقياء، وهم أجداد المناذِرَة ملوك الحيرة ، ومُحَرِّق هو عمرو بن هند ملك الحيرة ؛ ونُسَوِّد : أي نجعله سيدًا ، والمصرم : الفقير القليل المال .